ضوابط التعايش بين المسلمين والنصارى
من منظور إسلامي

د. مروة محمود حجو خرمة
أستاذ مساعد في كلية الشريعة- الجامعة الأردنية
وفي قسم الفلسفة – الجامعة الأردنية

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾[1]

إن دين الإسلام هو دين الرحمة للعالمين جميعا، جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الحزن إلى السرور، من عبادة العبيد إلى عبادة رب العبيد،

[1] البقرة: 285

ومن ضلال التعدد إلى هدى التوحيد، وإن المقارنة بين الإسلام وبين أي دين آخر ستجد الاختلافات الكبيرة في العقيدة والتشريع.

وقد ظهرت بعض الدعوات للتقريب بين الأديان بل وللتوحيد بينها بالرغم من الاختلافات الشاسعة فيما بينها، وإن أخطر دعوة معاصرة هي دعوة التنصير والتبشير تحت شعار المحبة التي يحاول فيها النصارى الإكثار من المؤتمرات والندوات والحوارات بينهم وبين المسلمين لإقناع المسلمين بالتقارب الشديد بين الاسلام والنصرانية، ونرى بعض النصارى يعلنون أنهم أناس موحدون مثلنا تماما! يعبدون ربا واحدا كما نعبد نحن! بل وربنا وربهم واحد كما يدّعون! وإذا ما ناقشناهم في التثليث لم يفيدونا جوابا؛ لعدم قدرتهم على فهم سر التثليث.

وإنني أهدف في بحثي هذا أن أبين خطورة هذه الدعوى، فكما قيل:

سارَت مشرِّقَةً وسِرتُ مُغَرِّباً   شتَّان بين مشرّقٍ ومغرّبِ

شتان بين التوحيد والتثليث، بين عبودية المسيح عليه السلام وألوهيته، بين العدل الإلهي وبين الظلم الإلهي، إن نظرة في الكتاب المقدس لتظهر الفروق الجوهرية بين الاسلام والنصرانية، وقد بدأ ادعاء النصارى بالتشابه الكبير بين الاسلام والنصرانية يترسخ في نفوس بعض ضعاف الإيمان مما يوجب علينا توضيح أوجه التعايش المشروعة وغير المشروعة، فنحن نؤيد الحوار ونريد تحقيق التعايش، ولكن على أن يكون وفق الضوابط الشرعية التي ترضي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

يحاول النصارى في حواراتهم أن يؤكدوا التعايش بين المسلمين والنصارى، ويضربون أمثلة على التعايش من زمن النبي صلى الله عليه وسلم، لكنهم يغفلون عن ضوابط التعايش التي كانت، فكل النصوص التي يستشهدون بها على التعايش هي

نصوص عن (تعايش اجتماعي) من حيث العلاقات الإنسانية، في المعاملات والأخلاق والحقوق والواجبات، ولم نجد نصا واحدا من الكتاب أو السنة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة لم نجد أي نص عن (تعايش اعتقادي) ــكما يدعي وجوده البعض في عصرنا الحاضرــ إذ إن الاعتقادات متباينة.

إن نصوص الكتاب والسنة فيما يتعلق بالنصارى توضح أشكال التعايش الاجتماعي في أحكام أهل الذمة من إباحة طعامهم وشرابهم وزواج نساءهم، وحسن مجاورتهم، وحفظ عهودهم ومواثيقهم، والذب عنهم عند تعرضهم للأذى، وإعطائهم حقوقهم في القضاء وفي المعاملات الدنيوية، وفي الدفاع عنهم وحمايتهم في الحروب بمقابل إعطاء الجزية الرمزية والتي تقدر بحسب حال كل منهم، إلى غير ذلك من أحكام تظهر الرحمة الإسلامية التي لم يحظ بمثلها النصارى في عهد أي أمة سابقة أو لاحقة؛ وذلك باعترافهم في كتبهم وفي خطاباتهم أنهم ما شهدوا حظا وافرا لحياتهم في كل جوانبها إلا في ظل الحضارة الاسلامية، ذلك أن ديننا الإسلام يحدد الصلة التي تجمعنا مع كل بني آدم؛ فكلنا لآدم وآدم من تراب، وكلنا خلقنا من نفس واحدة.

وعليه فإن صلة الرحم الإنسانية تجمعنا جميعا، أي أن ما يجمعني مع النصراني–ما لم يكن مقاتلا لي– هو أنه أخي في الإنسانية، كلنا خلقنا من نفس واحدة، ومن هذا المنطلق ومع كون الدعوة الاسلامية هي دعوة الرحمة العامة فإن للنصارى من المسلمين التعايش الإنساني الاجتماعي الذي يحفظ لهم كرامتهم كبني آدم، أما أن يتطور الحوار بين النصارى والمسلمين فيصل إلى الرغبة في نشر التعايش العقدي فإن هذا الأمر غير مقبول، ولا يمكن التهاون فيه قطعيا، فأي تعايش هذا الذي يمكن أن يكون بين توحيد وتثليث؟ بين كفر وإيمان؟ بين تنزيه لله تعالى

وانتقاص له بنسبة الظلم والتجسد والنقص إليه؟ أي تعايش بين من يؤمن بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبختمها للرسالات السماوية وبين من ينكرها؟ بين "لا تزر وازرة وزر أخرى" وبين توارث الخطيئة؟ بين "كل نفس بما كسبت رهينة" وبين "أحِب وافعل ما شئت"؟ بين دين أصله وحي معصوم ودين من كتابة البشر؟ بين رحمة حقيقية يتعامل بها المسلم مع خلق الله وبين محبة زائفة تختص بالنصارى ولا تشمل غيرهم؟ شتان بين عقيدة توافق العقل والفطرة وبين عقيدة تصادم العقل والفطرة!

إن سماح الإسلام للنصارى بالعيش بين المسلمين والتعامل معهم لا يعني قبول عقيدتهم، بل إننا نتعايش معهم اجتماعيا لأن القاعدة عندنا أن "لا إكراه في الدين" وأن "لكم دينكم ولي دين"، فنحن نتعايش معهم في مجتمعاتنا باعتبار الاخوة الانسانية التي تجمعنا، لا باعتبار الرضى عن دينهم، ولا بد للتنبه لأمر مهم في حوارات النصارى إذ أن دعوتهم إلى المحبة هي في الحقيقة والواقع دعوة الى التنصير والتبشير، والمشكلة أن بعض المسلمين يتجاوبون معهم فيبادلونهم الدعوة بالمحبة لهم، وينسون أن موالاة الكفار ومودتهم ومحبتهم تجعل المسلم معهم ومنهم قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٥١﴾[1]، إذ يجب على المسلم أن يحب في الله ويبغض في الله، وأن لا ينساق وراء شعار المحبة الذي يبثه النصارى، فإن كتابهم المقدس يصرح بأن إلههم يحب من آمن بعقائدهم ويبغض من

---

[1] المائدة: 51

كفر بها، وأن غير أبناء الله المؤمنين بالتجسد والصلب والفداء والخلاص وغيرها من العقائد المحرفة هو ابن لإبليس.

إننا محاسبون على أفعال القلوب كما أننا محاسبون على أفعال الجوارح، وبالتالي فنحن نتقرب الى الله تعالى بالولاء والبراء وفق ما يحب ويرضى، فنحب من يحبهم ونبغض من يبغضهم، ويحرم علينا أن نجامل النصارى في الدين، وقد قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴿١٢٠﴾﴾[1]، فنراهم يبشرون بدينهم بدعوى المحبة، لأنهم لن يرضوا عنا حتى نتبع ملتهم، فما مقصودهم من التعايش؟ وما مقصودهم من الحديث عن المحبة؟ ما المحبة الا شعار براق يخفي تحته دعوة التبشير والتنصير من وراء حجاب، فعلى المسلمين أن يكونوا أكثر وعيا وألا تجرفهم العاطفة فينساقوا وراء هذه الشعارات البراقة.

ولا يعني ذلك أننا نبغض النصارى لذواتهم، فقد تعلمنا من رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أننا نحب ونبغض صفات لا ذوات، فالمؤمن نحبه لصفة إيمانه فإذا زالت صفة الايمان زالت محبتنا له، وكذلك الكافر نبغض صفة الكفر فيه لا ذاته؛ لأنه إذا زالت صفة الكفر فيه وآمن أحببناه.

وهذه مسألة دقيقة تفسر لنا إمكانية التعايش الإنساني بين المسلمين والنصارى، لأننا لو كرهنا ذواتهم لما استطعنا التعامل معهم إنسانيا واجتماعيا قط، لكن من عظمة الاسلام ورحمته العامة فإننا نكره صفات لا ذوات، وبالتالي باستطاعتنا التعايش معهم إنسانيا بالرغم من كرهنا لصفة كفرهم، وعليه فإننا نحاول

---

[1] البقرة: 120

هدايتهم وتعريفهم بالإسلام من خلال أخلاقنا وحسن جوارنا لهم، فنعاملهم بالرحمة لا بالمحبة، فنحن نكره صفة الكفر فيهم ولا نكره ذواتهم، إذ ان ذواتهم بالنسبة لنا خلق من مخلوقات الله تعالى، وبناء على هذه النظرة نتعايش معهم إنسانيا.

يجدر بنا التنبه إلى أن النصارى يصرحون بالدعوة إلى دينهم وبتبشيرهم به لمن كان على غير دين أو لضعاف الايمان في مشارق الأرض ومغاربها، أما في المجتمعات الإسلامية الراسخة في دينها فإن دعوة التبشير لا تكون صريحة لئلا نرفضها مباشرة، لذا فإنهم يدعون إلى المحبة لا إلى التبشير والتنصير، ولا ولن يصرحوا بأهدافهم الحقيقية من دعوى المحبة؛ لأنهم إن قالوا لنا: "نريدكم أيها المسلمين نصارى" لرفضنا ذلك على الفور، لكنهم يقولون: "نريد منكم المحبة والتعايش العقدي فإلهنا وإلهكم واحد.." إلى غير ذلك، وهي طريقتهم المثلى للدخول الى صفوف المسلمين، بل وإلى قلوبهم بالعاطفة وبالكلام المعسول.

سأثبت ــبعون الله تعالىــ في هذا البحث المختصر أن للتعايش الإسلامي النصراني ضوابط كثيرة، وأنه تعايش محدود بالعلاقات الإنسانية والاجتماعية من حيث الحقوق والواجبات للمواطن، أما التعايش العقدي والمحبة القلبية فهذا من المحال وهو عين الضلال والإضلال، وما دعوة المحبة النصرانية الا دعوة للتبشير والتنصير باسم المحبة، وهذا ما سأوضحه في البحث بإذن الله تعالى.

وقد قسمت بحثي إلى ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول في تعريف التعايش لغة واصطلاحا، والمبحث الثاني في أشكال التعايش المشروعة، والمبحث الثالث والأخير في أشكال التعايش غير المشروعة، وأتبعت ذلك بخاتمة فيها أبرز النتائج.

هذا وأرجو أن أكون قد وفقت فيما كتبت، فمن وجد عندي صوابا فليذكرني بدعوة تنفعني، ومن وجد الخطأ فليشملني بحلمه وعلمه وحسن ظنه فلست معصومة ولكن ظني بالله جميل، والله الموفق.

المبحث الأول: معنى التعايش لغة واصطلاحاً.

التعايش لغةً:

التعايش مشتق من الجذر الثلاثي: "ع ي ش"، و(العيشْ): الحياة، وقد عاش يعيش معَاشاً بالفتح ومعِيشاً... و(المعيشة) جمعها مَعايش بلا همز... و(التعيُّش): تكلف أسباب المعيشة"[1].

ويقال في اللغة: "(عاش): عَيْشاً وعِيشَةً ومَعاشاً: صار ذا حياةٍ، فهو عائش، و(أعاشه)، جعله يعيش، يقال: أعاشه الله عيشةً راضية، (عايشه): عاش معه، وعيَّشَه: أعاشه، (تعايشوا): عاشوا على الألفة والمودة، ومنه: التعايش السلمي... و(العيش) معناه الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل"[2].

(التعايش) اصطلاحاً:

العيش اصطلاحا: "الحياة المختصة بالحيوان، وهو أخص من الحياة، لأن الحياة تقال في الحيوان وفي الباري تعالى وفي المِلَك، ويُشتق منه المعيشة لما يُتَعيَّش منه، قال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ

[1] الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1999م، ص276.

(2) ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استانبول، ط2، د.ت، ص639-640.

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1]، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[2]، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴿١٠﴾﴾[3]وقال في أهل الجنة: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾[4]، وقال عليه السلام:" لا عيش إلا عيش الآخرة".[5]

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ ﴿٥٨﴾﴾[7]، وعليه فقد وردت كلمة العيش باشتقاقات متعددة في القرآن الكريم، لكن لم ترد هذه الكلمة باشتقاق (تعايش).

وبالنظر إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي فإن (التعايش) يُقصد به: التفاعل ومشاركة الآخر بفعل العيش أي الحياة بتوفير مقومات الحياة التي تعين على العيشة الراضية.

المبحث الثاني: أشكال التعايش المشروعة.

---

[1] الزخرف 32

[2] طه 124

[3] الأعراف:10، الحجر:20

[4] الحاقة:21، القارعة:7

[5] الأصفهاني، الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، ص396-397، والحديث متفق عليه.

[6] النبأ:11

[7] القصص:58

ظهر الإسلام في الجزيرة العربية وقد كان يعيش فيها بعض النصارى الذين سماهم الله تعالى في القرآن الكريم باسم (أهل الكتاب)، فأهل الكتاب هو اسم يطلق في الإسلام على اليهود والنصارى باعتبارهم من أتباع الديانات التي لا تعبد الأصنام، وهم الذين اتبعوا الأنبياء السابقين على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والذين أنزل الله عليهم كتباً(1) إلا أن اليهود والنصارى حرفوا الكتب السماوية فيما بعد.

وقد أكد القرآن الكريم ضرورة عدم القتال أو الصدام مع أهل الكتاب ما لم يعتدوا، وعدم إكراههم في الدين، ودعانا إلى مجادلتهم بالتي هي أحسن إلا من ظلم منهم[2]، قال تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾[3]، أي إلهنا واحد من حيث الأصل وقبل تحريفكم لكتبكم.

و(أهل الذمة) اصطلاح يطلق على من يجوز عقد الذمة معهم، وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، كما اعتبر المجوس أهل ذمة وأخذت منهم الجزية، واعتبر السامرة والصائبة أهل ذمة بشرط أن يوافقوا اليهود والنصارى في أصل عقيدتهم، ومعنى الذمة: التزام تقرير توطين أهل الكتاب في ديار الإسلام وحمايتهم مقابل الجزية، ذلك أن الله تعالى أمر المؤمن بأن تكون دعوتهم طيبة وأن يخاطبوا الناس

[1] انظر: عثمان، أحمد، المسيحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2009م، ص111.

[2] انظر: المرجع نفسه، ص112.

[3] العنكبوت: 46

برفق، فلا إكراه في الدين ولا تهديد، وهناك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ندعو المسلمين إلى الحوار مع الآخرين برفق[1].

أما عن لفظ (الذمة) فكان "أول ما استعلمت فيه كلمة (الذمة) في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران فقد كتب لهم: [والنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله، على أموالهم، وأنفسهم، وأرضهم، وملتهم، وغائبهم، وشاهدهم... وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته... ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين..."[2].

هذا وإن الجزية المفروضة على أهل الذمة هي بمثابة ضريبة دفاع في مقابل ما يتمتع به هؤلاء اليهود والنصارى من حماية في ديار الإسلام، وقد أباحت الدولة الإسلامية لأصحاب الرسالات التي كان أصلها سماوياً من يهود ونصارى ممارسة شعائرهم الدينية وأداء عباداتهم، ونهت عن التعرض لأماكن عبادتهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ ٤٠﴾[3].

---

[1] انظر: عثمان، أحمد، المسيحية في الإسلام، ص113-114.

[2] المرجع نفسه، ص114.

[3] الحج:40

وكان من حقوقهم كذلك حفظ عهودهم، وحمايتهم من أي اعتداء قد يقع عليهم سواء من الخارج أم من الداخل، وصيانة كرامتهم.

وقد عد الفقهاء المسلمون أن من اعتدى على أهل الذمة بأي نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمة دين الإسلام، وأن الإسلام يدعونا إلى الرفق بضعيفهم، وسد فقرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم، ومن علامات رحمة الإسلام بهم إعفاء غير القادرين منهم والصبيان والنساء والرهبان المنقطعين للعبادة والمرضى عن دفع الجزية، وضرورة العدل ومنع الظلم[1]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[2].

وقد خصص الإمام البخاري رحمه الله بابا بعنوان (باب الوصايا بأهل ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم) في كتاب الجزية والموادعة في صحيح البخاري، وفيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة بينكم، ورزق عيالكم"[3].

وقد أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم بالجار فقال: " مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه لَيُوَرِّثنه" [1] ولم يحدد الجار بالمسلم دون الذمي.

---

[1] انظر: عثمان، المسيحية في الإسلام، ص117، 125-129 باختصار.

[2] المائدة:8

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، ك الجزية والموادعة، ب الوصايا بأهل ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 3162.

ومما سبق فإن الذمة هو العهد والضمان والأمان، وأهل الذمة لهم عهد الله وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في حماية الإسلام، وفي كنف المجتمع آمنين مطمئنين، فعقد الذمة يشبه ما يسمى في عصرنا: (الجنسية السياسية)، فيتضمن هذا العقد تمتع أهله بحماية الجماعة الإسلامية ورعايتها بشرط بذلهم الجزية والتزامهم أحكام القانون الإسلامي في غير الشؤون الدينية التي تخصهم.

ويحمي الإسلام لأهل الذمة: حرية الاعتقاد، والتعبد، وعدم الإكراه في الدين، ويبيح لهم إقامة شعائرهم، وإعلان طقوسهم في بيعهم وكنائسهم والجهر بها في البلاد، وأقرهم على اتباع أحكام دينهم فيما ينشأ بينهم من معاملات ومرافعات، وأباح لهم أن يزوجوا نساءهم للمسلمين، وأحل للمسلمين ذبائحهم، وأجرى التوارث فيما بينهم.

أما واجباتهم تجاه المسلمين فهي أداء الجزية كلٌّ بحسب قدرته، ويُعفى العاجزون عنها، والالتزام بأحكام القانون الإسلامي المطبق في المعاملات المدنية ونحوها، واحترام شعائر المسلمين ومشاعرهم[2].

والنصارى يعترفون بما تمتعوا ومازالوا يتمتعون به من حقوق إنسانية عظيمة في ظل الدولة الإسلامية، وهذا أليكس جورافسكي يشير إلى مثل ذلك بقوله: "إن ظهور الدين الإسلامي وترسخه السريع والقوي في أراضي أسيوية وإفريقية واسعة في أثناء مسيرة

---

[1] أخرجه الشيخان: البخاري في صحيحه، ك الأدب، ب الوصايا بالجار، حديث 6014، ومسلم في صحيحه، ك البر والصلة، ب الوصية بالجار والإحسان إليه، حديث2624.

[2] انظر: الجرار، د. خلف محمد، من حاشيته لترجمته كتاب الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، لأليكس جورافسكي، دار الفكر، بيروت/دمشق، ط2، 2000م، ص172-173 باختصار.

الفتوحات العسكرية الدينية للعرب، حدد بصورة حاسمة مصائر المسيحية الشرقية التي قابلت الدين الجديد (الإسلام) دون أي مقاومة، بل وبالترحاب في كثير من المناطق، ومردّ ذلك الموقف إلى عدة عوامل، أهمها: أولاً: تسامح الإسلام إزاء القضايا المتعلقة بإقامة طقوس العبادة المسيحية... ثانياً: بسبب أن المسلمين الفاتحين حموا المسيحيين من تعديات واعتداءات وملاحقات إمبراطورية بيزنطه غير المتسامحة مطلقاً..."[1].

وخلاصة الأمر أن أشكال التعايش الإسلامي المسيحي تنحصر في علاقات اجتماعية إنسانية عادلة تعطي كل ذي حقٍ حقه، وتنبع من رحمة الإسلام وعظمته وشموله، وذلك راجع في الأصل إلى حقيقة مصدر الإسلام؛ فإن مصدر الإسلام وحي معصوم عن سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام عن سيدنا جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل، والله خالقنا جميعاً خلقنا من نفس واحدة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ ... ﴿١﴾﴾[2]، وجعل الله تعالى صلة الرحم الإنسانية تجمعنا مع غيرنا من البشر، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[3]، فنتعايش مع النصارى من حيث الحقوق والواجبات والعلاقات والمعاملات، ولا نجد نصاً من الكتاب والسنة يجيز لنا تعايشاً اعتقادياً أو عاطفيا فيما بيننا، وهو ما سنتعرف إليه في المبحث التالي، والله المستعان.

[1] اليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة د.الجرار، ص169-170.

[2] النساء: 1

[3] الحجرات:13

المبحث الثالث: أشكال التعايش غير المشروعة.

يكثر النصارى من المؤتمرات والندوات والمحاضرات لتأكيد دعوتهم إلى التعايش الإسلامي النصراني ليشمل التعايش في جميع نواحي الحياة، وإننا لا ننكر وجود أوجه من التعايش المشروع في ديننا، إلا أنه تعايش مضبوط ومقيد بالتعايش الاجتماعي الإنساني، فيخرج التعايش العقدي والعاطفي من الأوجه المشروعة، وبيان ذلك الآتي:

المطلب الأول: التعايش العقدي.

إن التعايش يعني التفاعل والمشاركة والتقارب والتعاون، وكل هذه المعاني لا تنطبق في العلاقة بين العقائد، وولكننا نرى النصارى يحاولون التأكيد على اشتراكنا في عبادة إله واحد من باب تحقيق التعايش الكامل بيننا.

ذلك أنهم نجحوا في التبشير المباشر لمن لا دين له، أما الأمة الإسلامية فعقيدتها راسخة يصعب تغييرها، فلما فشل النصارى في التبشير والتنصير للأمة الإسلامية بشكل مباشر لجألوا إلى التبشير والتنصير من وراء حجاب بدعوى التعايش والتقارب فيما بيننا، بمعنى أنه إن كانت عقائدنا متقاربة_كما يقولون__ فلماذا لا نكون على دين واحد، ونؤول فيه النصوص المتعارضة لنصبح أمة واحدة على دين واحد!!

وقد أشار بعض الباحثين إلى تغيير منهج النصارى مع المسلمين، فهذا موريس بوكاي يشير إلى التغيير الجذري الذي ظهر عند المسيحيين في موقفهم تجاه المسلمين، ففي حين كان منهجهم احتقار المسلمين ورفض التنازل للحوار معهم نجد أنهم غيروا منهجهم إلى فتح باب الحوار على مصرعيه إثر مجمع الفاتيكان الثاني 1962م-1965م بعنوان (توجيهات لإقامة حوار بين المسيحين والمسلمين) حيث دعت الوثيقة إلى استبعاد الصورة السابقة للمسلمين عند المسيحيين، والتأكيد على وحدة

الإيمان بالله عند الجماعتين، وبعد ذلك قام الكردينال بنيودول بإيصال رسالة البابا بولس السادس للعاهل السعودي الملك فيصل يؤكد فيها إيمانه العميق بوحدة العالمين الإسلامي والمسيحي اللذين يعبدان إلهاً واحداً...[1].

وقد أشار أليكسي جورافسكي إلى النزعة النصرانية الرامية إلى جعل الحوار ذا طابع إنجيلي تبشيري ومواقف النصارى من هذه النزعة، وأن الحوار عندهم أريد به أن يكون أسلوبا جديدا للتبشير المسيحي، واستعمال صيغة(الاهتداء إلى المسيح) بدلا من الصيغة القديمة (التحول إلى المسيحية)؛ ويكون ذلك بدون القضاء على الديانات الاخرى بل بإنضاجها الطبيعي، فالمبشر المسيحي في نظرهم يتوجب عليه أن يساعد في تسريع ذلك النضج[2].

نعم إن هذه هي الدعوة السائدة في حوارات النصارى مع المسلمين: وهي التأكيد على اشتراكهم في عبادة إله واحد، ولكننا عندما نتأمل نصوص كتابهم المحرف نجد أنهم يؤلهون المسيح!

تأمل على سبيل المثال أقوال بولس المقدسة التي يعتمدها النصارى: يقول بولس: "**ولهم الآباء ومنهم المسيح، حسب الجسد، الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين**"[3]. ويقول: "**ونعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع**

---

[1] انظر: بوكاي، موريس، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، دار الفتح، مصر، ط1، 1997م، ص6-8 باختصار.

[2] أنظر: اليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة د.الجرار، ص162-163.

[3] رومية 5/9

المسيح"[1]. ويقول: "**أمين هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا"**[2]. ويقول: "**مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة غير متكاسلين في الاجتهاد حارّين في الروح عابدين الرب"**[3]. ويقول: "**وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا"**[4]. إلى غير ذلك من نصوص.

وبذلك فإن دعوى ألوهية عيسى عليه السلام تشكل قاعدة الديانة النصرانية ومحورها المركزي الذي تتأسس عليه وتدور حوله منظومة العقائد النصرانية كلها من تجسد وحلول وتثليث وصلب وقيامة.

هذا وقد تباينت نحل النصارى واختلفت مذاهبهم في شخص المسيح؛ فبعضهم يراه رسولاً كمن سبقه من المرسلين والأنبياء، والبعض الآخر يراه إلهاً كما أقرت كثير من مجامعهم المقدسة، وبعضهم يراه ابن الله له صفة القدم، فهو أكبر من رسول، وله صلة خاصة بالله، وأنه وسيط بين الله والناس[5].

ويجدر التذكير بأن كتاب النصارى قد اعتمد مقدسا في وقت متأخر عن حياة المسيح عليه السلام، كما يقول الأب عبد الأحد داود المطران الآشوري العراقي:"إن تلك الأناجيل الأربعة المعتبرة بيد النصارى حاليا، وكذلك الرسائل الملحقة بها، لم

---

[1] رومية 7/1

[2] 1 كورنثوس 9/1

[3] رومية 11/12

[4] رومية 4/1

[5] انظر: جستنية، بسمة، تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه، دار القلم، دمشق، ط1، 2000م، ص364-365.

تدخل في عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموع هيئتها بصورة رسمية إلا في القرن الرابع الميلادي بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه سنة 325 ميلادية، لذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم النصراني قبل هذا التاريخ"[1].

وإن المتأمل في المجامع النصرانية وأثرها في تحريف العقيدة ليجد تصريحاً منهم بتأليه المسيح عليه السلام:

ففي مجمع نيقيه سنة 325م خرجوا بتقرير ألوهية المسيح ونبوته لله وأنه مساوٍ لله ومولود منه غير مخلوق_تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً_ ونص قانون الإيمان النيقوي بالقول: "نؤمن بإله واحد الله الأب كلي القدرة، خالق كل شيء، ما يرى ومالا يرى، ونؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله، المولود من الأب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، من ذات الجوهر مثل الأب...".

- وفي مجمع القسطنطينية سنة 381م أقروا وأثبتوا عقيدة مجمع نيقية، وأضافوا إلهاً ثالثاً بإقرار ألوهية الروح القدس.
- وفي مجمع أفسس الأول سنة 431م أقروا أن المسيح إله وإنسان ذو طبيعة واحدة وأقنوم واحد، وأن مريم أم الإله.
- وفي مجمع خلقيدونية سنة 451م قرروا أن المسيح له طبيعتان إلهية وبشرية، وقالوا: إن مريم العذراء ولدت إلهنا ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبقة الإلهية، ومع الناس في الطبقة الإنسانية".

---

[1] الطهطاوي، محمد عزت، الميزان في مقارنة الأديان، دار القلم، دمشق، ط2، 2002م، ص105.

وهكذا تتابعت المجامع النصرانية التي هي المصدر الحقيقي للديانة النصرانية، ومع تباين آرائهم إلا أن التأليه وارد للمسيح عندهم[1].

إذن كيف يعلن النصارى أنهم يعبدون إلهاً واحداً وهذه نصوص كتابهم ومجامعهم تصرح بألوهية المسيح وربوبيته وبنوته كذلك؟! فنحن أمام خيارين:

الأول: إما أن نرد عليهم بتلك النصوص، ونثبت بأنهم مشركون بالله الواحد الأحد، وذلك بناء على كتابهم ومجامعهم، وعليه فلا تعايش بين توحيدنا وشركهم.

والثاني: أو أن نخاطب بعضهم ممن لا يقر بألوهية المسيح فنقول: أنتم بعدم إقراركم بالتثليث وبألوهية المسيح قد خالفتم كتابكم ومجامعكم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه حتى على فرض أنكم تعبدون إلهاً واحداً هو الآب ـمع أن كتابكم ومجامعكم تقر بألوهية المسيح بل وبألوهية روح القدس عند البعضـ فإنه حتى مع قول بعضهم إننا لا نعبد المسيح بل نعبد الآب فقط، فليس صحيحاً أن يقولوا: "نحن (النصارى) وأنتم (المسلمون) نعبد إلهاً واحداً "، إذ إنهم إن تخلوا عما صرحت به مجامعهم وفق كتابهم من ألوهية المسيح فإنهم لن يستطيعوا إنكار أن إلههم ليس كإلهنا،

---

[1] انظر تفاصيل عن تلك المجامع مثلا في: جستنيه، تحريف رسالة المسيح عليه السلام، ص316-338. الحاج، د.محمد، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، دار القلم، دمشق، ط2، 2002م، ص166-186. أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1961م، ص110-136. شلبي، د.أحمد، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط10، 2000م، ص207-211. عبد الحميد، د.عرفان، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، دار عمار، عنان، ط1، 2000م، ص81-98.

فإلههم ناقص عاجز ظالم لا يتنزه عن الحاجة والابن والضعف والظلم إلى غير ذلك مما نسبوه إليه، في حين أن إلهنا كامل منزه عن جميع النقائص.

فإن قالوا: "نحن وأنتم نعبد إلهاً واحداً "، فهذا لا يعني أن إلههم هو إلهنا ذاته، بل شتان بين الإلهين. وعليه فإن التعايش العقدي محال بيننا؛ فإلهنا ليس كإلههم، وتوحيدنا ليس كتثليثهم، وإيماننا بالمسيح الرسول ليس كإيمانهم بالمسيح الإله، وإيماننا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليس ككفرهم به، وإيماننا بالعدل الإلهي ليس كإيمانهم بظلم الآب للعالم بتوارث الخطيئة وبتضحيته ببرئ لخلاص العالم...الى غير ذلك من عقائد متناقضة ومتعارضة بيننا وبينهم.

إن القرآن الكريم وصف النصارى بأنهم كافرون في كثير من الآيات ومنها: قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴿١٧﴾﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[2].

وهذا الدكتور أحمد السقا يرد على الأنبا غريغوريوس في قوله: "إن المسيحية والإسلام تدعوان إلى عبادة الله الواحد، الذي ليس كمثله شيء" قائلا: "فقول غريغوريوس: إن المسيحية والإسلام يلتقيان في التوحيد، هو قول باطل، لأن الله عند الأرثوذكس هو المسيح بن مريم...وعند الكاثوليك والبروتستانت معهم في العقيدة أن المسيح إله ثان بنفسه عن الله وهما مستقلان عن روح القدس، فكيف يكون الثلاثة

[1] المائدة:: 17.

[2] المائدة:73

واحدا؟ وفي مذهب الأرثوذكس جاء في القرآن الكريم: ﴿لَّقَد كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾، وفي مذهب الكاثوليك جاء في القرآن الكريم: ﴿لَّقَد كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾.[1]

فالواجب أن لا نجامل في هذا الحكم، نعم هم كافرون من منظور إسلامي، الله تعالى كفّرهم، ورسوله صلى الله عليه وسلم كفّرهم، و"الكفر في اللغة: ستر الشيء"[2] إذ هو من التغطية والستر، فقد غطى النصارى الفطرة السليمة باعتقاداتهم المحرفة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء"[3]، قال العلماء: الفطرة هي الإسلام.[4] فأي تعايش بين كفر وإيمان؟!

---

[1] اللقاء بين الإسلام والنصرانية بين د.أحمد حجازي السقا، والأنباغريغوريوس، دار التبشير، القاهرة، د.ط، د.ت، ص79-80

[2] الراغب الأصفهاني، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص484.

[3] أخرجه الشيخان: الإمام البخاري في صحيحه، ك الجنائز، ب إذا أسلم الصبي فمات...، ح1358، وأطرافه فيه: ح1359، وح1385، وح4775، وح6599. وبنحوه أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ك القدر، ب معنى كل مولود يولد على الفطرة...، ح2658.

[4] قال ابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث الشريف:"وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة: الإسلام، قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ (الروم:30) الإسلام". وذكر ابن حجر أدلتهم على ذلك وذكر الأقوال الأخرى في المسألة مع أدلتهم والردود عليها، وقد نقل قولاً يربط الأمر بما طبعت عليه القلوب، وهو "قول الحافظ القرطبي في المفهم قال: المعنى أن الله خلق قلوب بني آدم

هذا وإن موقف النصارى من تكفيرهم ينقسم إلى موقفين:

موقف السعداء بتكفيرهم في القرآن، لأن في ذلك دليلا بالنسبة إليهم على أن ألوهية المسيح كانت موجودة منذ الزمن القديم، وليست استحداثاً في المجامع، فهذا الأنبا غريغوريوس يقول: "شكرا لله أولاً وقبل كل شيء، فإن القرآن بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ ﴿٧٢﴾﴾[1]، أعفانا من التدليل على أن ما يقوله المسيحيون عن ألوهية السيد المسيح هو بعينه ما كانوا يقولونه قبل القرن السابع للميلاد، فلم يستحدث المسيحيون عقيدة ألوهية السيد المسيح، وإنما هي عقيدتهم بعينها منذ الابتداء، وهي عقيدة المسيحيين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، إنها عقيدتهم بالإجماع شرقاً وغرباً، سواء الأرثوذكس منهم أو الكاثوليك أو البروتستانت، لا خلاف بينهم على أن المسيح هو (الله الكلمة متجسداً)[2] (الله الظاهر في الجسد)[1]، الله قد تجلى في كيان منظور هو المسيح، وهذا هو معنى أنه (ابن الله)"[2].

مؤهلة لقبول الحق، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق، ودين الإسلام هو الدين الحق، وقد دل على هذا المعنى بقية الحديث حيث قال ((كما تنتج البهيمة)) يعني أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة، فلو ترك كذلك كان بريئا من العيب لكنهم تصرفوا فيه بقطع أذنه مثلا فخرج عن الأصل وهو تشبيه واقع ووجه واضح والله أعلم. أهـ". انظر تفاصيل أقوال العلماء في شرح الحديث الشريف بالأدلة في: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج1، ص810.

[1] المائدة: 72

[2] يوحنا1: 14

وغريغوريوس سعيد بذلك؛ إذ قال في رده على د.عبدالمنعم النمر: "وملاك القول: أنني أريد أن أؤكد لفضيلة الدكتور عبدالمنعم النمر أننا سعداء بقول القرآن: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ ﴿٧٢﴾﴾[3]، هذه عقيدتنا، ونحن سعداء بها، ونحن لا نغضب أن يقال عنا من جانب الذين لا يعرفون المسيح على حقيقته: إننا كفار"[4].

فهؤلاء المعترفون بكفرهم كفونا مهمة التفريق لا التوفيق بين عقائدنا، وبالتالي أدركوا استحالة التعايش العقدي بين إيمان وكفر.

أما الموقف الثاني لبعض النصارى فهو رفض تسميتهم بالكفار، بل يؤولون هذه الآيات بأنها نزلت لتخبر عن فرق خاصة من النصارى وليس جميع النصارى، فهؤلاء نذكرهم بأن كتابهم المقدس ومجامعهم قد أكدت ما جاء في القرآن الكريم، هذا وإننا حتى وإن سلمنا ــجدلاًــ أنهم لا يعبدون إلا الآب، فإن إلههم المعبود ليس كإلهنا، فلا تعايش عقدي بيننا.

إن حديث النصارى عن تعايش عقدي هو شكل من أشكال التنصير غير المباشر، فقولهم: "إلهنا وإلهكم واحد، نعبد وإياكم إلهاً واحداً"، يشير إلى تقارب كبير وجذري وأساسي بين الديانتين! مما يفتح الباب لبعض ضعاف الإيمان من المسلمين للتلقي عن النصارى ما تبقى من دينهم بتأويلات مزينة وتفسيرات مبطنة.

---

[1] 1 تيموثاوس3: 16

[2] اللقاء بين الإسلام والنصرانية، ص14.

[3] المائدة: 72

[4] المرجع ذاته، ص14-15.

ولا يعني ذلك أننا نريد إقفال باب الحوار أمام النصارى، بل نحن مأمورون شرعا بالحوار والجدال بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمۡ وَٰحِدٌ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1]

نعم نحن نريد أن نجادلهم بالتي هي أحسن، ونؤكد لهم أننا نؤمن بسيدنا عيسى عليه السلام وبما أنزل إليه، وأننا نعبد إلها واحدا، ولكن هذا لو اتحد مصدر كتابينا، لكن المصادر اختلفت؛ فالقرآن مصدره وحي معصوم وكتابهم مصدره بشر حرفوا ما جاء به سيدنا عيسى عليه السلام من ربه، وهم يقرون أن كتابهم ليس من كتابة المسيح عليه السلام، بل بإلهامات من جاء بعده، ولذا نحاورهم ونقول لهم كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[2].

فباب الحوار مفتوح بيننا وبين النصارى، ولكن على أن يكون الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق، وذلك باعتماد وحي معصوم، حتى يتحد المصدر، فتتحد العقائد.

---

[1] العنكبوت:46

[2] آل عمران:64

ومنهج القرآن الكريم في الحوار مع الآخر منهج منصف عادل، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾[1]، نعم سنحاورهم قائلين لهم: إنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، ويكون حوارنا مبني على دراسات علمية دقيقة لمصادر ديننا ودينهم، ودراسة مدى موافقة كل دين منهما للعقل والفطرة، فنحن نؤمن بكل الرسل عليهم السلام وبما أنزل إليهم ــقبل تحريفهم لهــ، فإن آمنوا بمثل ما آمنا به فقد اهتدوا، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٣٥ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٦ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٣٧ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۝١٣٨﴾[2].

إن ثمرة الحوار والجدال هي الوصول إلى الحق، فإما أن نتحاور لتحقيق هذا الهدف، أو فلا داعٍ للتحاور إن كانوا مصرين على اعتماد كتابهم غير المعصوم كمصدر لعقائدهم؛ إذ لن يجدي هذا الحوار نفعا.

[1] سبأ: 24

[2] البقرة:135-138

أما أن نفتح باب الحوار مع اعتمادهم على كتابهم المحرف_وهم معترفون بعدم عصمته_ وأن يكون الهدف من الحوار تأكيدهم على أننا نشترك في عبادة إله واحد، فهذا حوار تبشيري لا يعبر عن حقيقة الأمر من اختلاف جذري بين معبودنا ومعبودهم.

إن الحوار المثمر لن يكون إلا باعتماد وحي معصوم ننطلق منه ونتفق عليه، وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز _وقوله حق وصدق بلا ريب_ أنهم حرّفوا كتابهم[1] قال تعالى: ﴿... يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ .. ﴿١٣﴾﴾[2]، وأنهم كتبوا الكتب بأيديهم ونسبوها إلى الله كذبا، وقد توعدهم الله تعالى بالويل مما كتبوا قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾[3].

وقد أوضح العلماء المسلمون أوجه التحريف في الكتاب المقدس[4] بل إن النصارى أنفسهم يعترفون بعدم إلهية أناجيلهم _وبالتالي عدم عصمتها_ فكنيسة

---

[1] ومن الآيات المثبتة لتحريف الكتاب المقدس: آية75 من سورة البقرة، وآية46 من سورة النساء، وآية41 من سورة المائدة.

[2] المائدة:13

[3] البقرة:79

[4] انظر تفصيل بيان تحريف الكتاب المقدس مثلا في: رحمة الله الهندي، إظهار الحق، ص148-18. بسمة أحمد جستنيّة، تحريف رسالة المسيح عليه السلام، وأصل هذا البحث رسالة ماجستير نوقشت في جامعة أم القرى بمكة المكرمة وأجيزت بامتياز، وفيها تفصيل لعوامل التحريف الداخلية والخارجية، انظر شرح ذلك في الصفحات: 129-401.

الموحدين "تعتبر الكتاب المقدس تسجيلا قيّما للخبرات الإنسانية، وهي تصرّ على أن كاتبيه كانوا معرضين للخطأ"[1].

وهذا المؤرخ الكاثوليكي د.شارل جينيبر في كتابه (المسيحية نشأتها وتطورها) الذي هدم فيه عقيدة البنوة والتثليث يقول في خلاصة كتابه: "فالمسيحية إذن ديانة أنشئت ــعلى أساس يهوديــ من عناصر متباينة كثيراً، وإن جمع بين أشتاتها على حد سواء الأصل الشرقي: عناصر يونانية في جوانب كثيرة منها، ولكنها أيضا عناصر من آسيا الصغرى وسوريا وما بين النهرين ومصر..."[2].

وبعد أن أوضح جينيبر ــبموضوعية ونزاهةــ أبرز النتائج قال مقرراً انسلاخ المسيحية الحالية من أصلها، ومؤكداً تحريفها وبشريتها: "...لكل هذا نستطيع القول ــدون أن نتهم بالبحث عن المتناقضات أو السير وراء كل غريب من الآراءــ بأن الغربيين لم يفهموا العقائد المسيحية في العصور القديمة قط، كما لم يصلوا إلى إدراكها في العصور اللاحقة، وأن الديانة التي أنشأوها على أساس منها، باجتهادهم الخاص، كانت ديانة مختلفة تمام الاختلاف في روحها وجوهرها عن المسيحية الشرقية؛ ديانة مختلفة نبعت قبل كل شيء من رصيدهم الفكري والروحي، متمشية مع عواطفهم

---

[1] أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1987م، ص111.

[2] د. شارل جينيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة د.عبدالحليم محمود، ط4، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص258.

ونزعاتهم، وإن صبت في قوالب تعبيرية لا توافقها تمام الموافقة، وخلاصة: أن الغربيين لم يكونوا قط مسيحيين في يوم من الأيام"[1].

فالكتاب المقدس في المسيحية محرف غير موحى به من عند الله ــوذلك باعترافهمــ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن إلهامات كتبة الكتاب المقدس جاءت في موضوعات كثيرة متناقضة ومخالفة في مفهومها ومتعلقاتها للعقل والفطرة، وهذا أمر متوقع ما دامت نصوصهم بشرية غير معصومة، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[2]، والكتاب المقدس مليء بالاختلافات لأنه من عند غير الله.

هذا وإن الحوار لا بد أن ينبني على الوضوح لا الغموض، والواقع يشير إلى أن التثليث عند النصارى سر غامض، وكما قالوا "إن عقيدة التثليث لا يمكن أن تنكشف للنفس على وجهها الا يوم تتجلى كل الأشياء لها يوم القيامة"![3] فكيف سنحاورهم وهم أنفسهم لا يعرفون حقيقة التثليث!

ويقول القس وهيب عطا الله: "إن التجسد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية، ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولا"!![4]

---

[1] المرجع نفسه، ص263-264.

[2] النساء: 82

[3] أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص95.

[4] شلبي، المسيحية، ص156.

وبناء على تحريف كتابهم، وعدم معقولية عقائدهم، وعدم قدرتهم على توضيحها بما يوافق العقل والفطرة وبالوحي المعصوم، فإن الحوار بيننا لن يجدي نفعا، ولن نجد سبيلا إلى تقارب بين العقائد، وبالتالي سيستحيل التعايش العقدي، ليس لأننا لا نرغب فيه، بل لأن مصادرنا مختلفة، فاختلفت عقائدنا، وهذا لا يؤثر على التعايش الإنساني والاجتماعي بيننا؛ لأن القاعدة عندنا أن:" لا إكراه في الدين"، وأن: "لكم دينكم ولي دين"، والتعايش الاجتماعي لا العقدي هو ما نحتاجه في تعاملنا معهم وتعاملهم معنا.

المطلب الثاني: **التعايش العاطفي**.

يردد النصارى دعوة المحبة في كل مكان يلتقون فيه مع المسلمين، ويعلنون بأنهم محبون لنا وأننا متعايشون من جميع النواحي حتى العاطفية، قائلين(الله محبة ونحن نحبكم)، والأصل أن المحبوب يبادل المحبة بالمحبة، فيطالبوننا بالتعايش العاطفي وبتبادل المحبة، ولكن هذه الدعوة غير مقبولة في ديننا لأوجه:

الوجه الأول: أنهم في الحقيقة لا يحبون غير من آمن بالمسيح وفق العقائد الخاصة التي اعتمدوها في كتابهم المحرف، والنصوص في كتابهم مصرحة بذلك، فحتى يتحقق التعايش العاطفي لا بد أن يبشروا بالإيمان بالمسيح الإله وابن الإله ليحبوا من آمن به وفق اعتقادهم به، أما إن لم نؤمن كما آمنوا فلن نحظى بمحبتهم!

والمتأمل في نصوص الكتاب المقدس يرى التناقضات الكثيرة في الموضوع الواحد، وقد قال د.شارل جينيبر_المسيحي_ مؤكداً التعارض في أحداث الكتاب المقدس نتيجة اتباع مؤلفيه لأهوائهم في تأليفه: "وتصفُّح الأناجيل وحده يكفي لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى (تركيبات) واضحة التعارض لنفس الأحداث

والأحاديث، مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية، ولم يستلهموا تاريخاً ثابتاً يفرض تسلسل حوادثه عليهم، بل على العكس من ذلك، اتبع كل هواه وخطته الخاصة في تنسيق وترتيب مؤلفه. ولا شك أيضاً في أنه لم يعتمد أحد منهم على سلسلة كاملة مترابطة من الوقائع تسمح له بأن يضع صورة واضحة لحياة المسيح: فلم يكن عملهم إذن سوى أن يربطوا ــفي كثير أو قليل من المهارةــ بين أطراف من المرويات، وأن يشكلوا منها سيرة افتقرت إلى الوحدة الحقيقية، كما أن عناصرها تبدو مجموعة في إطار مصطنع. وإننا لنلحظ في ثنايا هذه السيرة الإنجيلية نقصاً كثيراً وفجوات خطيرة، نلحظها حتى في إنجيل مرقس الذي بلغ به الحرص أن تحاشى الحديث عن مولد عيسى وطفولته"[1].

ومادام الكتاب المقدس من تأليف البشر فقد ظهر فيه الكثير من التناقضات، وما يهمنا في هذا المقام تناقضات المسيحية في المحبة، ومن أبرزها:

– اختلاف صيغ رواية وصية المحبة في الأناجيل!

– قولهم إن الله ندم على خلق البشرية، في حين يقولون بمحبة الله للعالم!

– الله يحب بني إسرائيل جميعا، لكنه يبغض من لا يحفظ وصاياه منهم!

– الله الآب يحب العالم فرداً فرداً وأراد خلاصهم، لكنه يبغض من لا يؤمن ببنوة المسيح وتجسده وأفعاله!

– يسوع ابن الله يحب العالم، لكنه يبغض من لا يؤمن به!

– الله محبة كله، لكنه يحب أولئك المؤمنين ويبغض غيرهم!

[1] د.شارل جينيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، ص13.

– الله كان غاضبا ومبغضا للعالم فأرسل ابنه ليطفئ غضبه بالمحبة، لكنه مازال غاضبا على من لم يؤمن!

– الآب ضحى بابنه لأجل العالم، لكنه لم يخلّص كل العالم!

– أساس المحبة هو الخطيئة المتوارثة ومن ثم بذل الابن الوحيد للتضحية والخلاص، لكن المسيح يقول إن من كفر به حصلت له الخطيئة بسبب كفره ولولا كفره لما كان خاطئاً! إن هذا نفيٌ للخطيئة المتوارثة، وبالتالي فهو هدم لأساس العقيدة المسيحية من صلب وفداء وتضحية وتجسد التي بنيت جميعها على الخطيئة ولولا الخطيئة لما كانت موجودة!

– انفرد إنجيل يوحنا عن بقية الأناجيل بنصوص تربط المحبة بتلك القضايا الإيمانية الكبرى، مع أن تلك النصوص اتُّخِذت أساساً للمسيحية! فكيف تخلو بقية الأناجيل منها!!

– في موضع من الكتاب المقدس ينص على أن دافع المسيح في التضحية نابع من ذاته فهو أراد ذلك، لكن المسيح في مواضع أخرى في الكتاب المقدس يستنجد ويستغيث بأبيه لينقذه من الصلب ويقول: إلهي إلهي لم تركتني؟ مقراً بعبوديته وافتقاره وعدم إلهيته، أي أنه لم يرغب في محبة العالم وتخليصهم بل كان مغلوباً على أمره!

– يعجز الابن عن خلاص نفسه، لكنه سيخلص العالم!

– يتقرب الابن من أبيه ويثبت محبته له بالالتزام بطاعته، وينفذ إرادة أبيه ويقول: إن أبي أعظم مني، لكن الابن المطيع لأبيه هو في الوقت نفسه إله كأبيه! كيف إله ينفذ إرادة إله أعظم منه ويطيعه ويتقرب إليه؟ إن الأقوى والمطاع هو الإله وحده، والمطيع هو العبد الفقير!

- جاءت الدعوة في الكتاب المقدس إلى حب الأعداء، لكن في نصوص أخرى دعا إلى بغض الأهل والأقارب والأزواج والأولاد وحتى النفس! ثم جاء بولس يدعو إلى محبة الأزواج!

- يدعو الكتاب المقدس إلى مسامحة المعتدين ومحبة الأعداء، ولكنه يقر أن الله يبغض أعداءه وأن المسيح لم يأت ليلقي سلاماً بل ليحمل السيف ويدعو أتباعه إلى حمل سيوفهم واللحاق به! إنه دين سيف لا دين السلام ولا المحبة! فقد جاء في كتابهم قول المسيح: "**لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل سيفا. فإني جئت لأفرِّقَ الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكنّة ضد حماتها. وأعداء الإنسان أهل بيته. من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني. ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني من وجد حياته يضيعُها. ومن أضاع حياته من أجلي يجدها. من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني** "[1].

- في الأناجيل كلها تأكيد على ربط المحبة بالعمل ووجوب حفظ الوصايا، لكن رسائل بولس دعت إلى التخلص من الناموس باعتباره لعنة، واعتمد المسيحيون رسائله دون الأناجيل!

- مرة في الكتاب المقدس تكون محبة العبد هبة من الله، ومرة هي مكتسبة من فعل العبد بسبب إيمانه!

[1] إنجيل متى 10: 34-40.

– موضوع محبة الله أزلي وهو المسيح، فالمسيح أزلي، لكن الأتباع صاروا موضوعه كذلك فصاروا أزليين! ومادام موضوع صفة الله أزلي فيلزم منه أن مراد الإرادة الإلهية أزلي، ومقدور القدرة الالهية أزلي، إذن فالعالم كله أزلي!

– البنوة كانت ليسوع فثبتت له الإلهية، ولكن محبة الله للأتباع جعلتهم أبناءً مولودين منه بدلاً من كونهم عباداً! كيف يكون اليسوع ابن الله وهو: (إله من إله) في حين أن بقية الأتباع أبناء مولودون من والدهم (الله) ولا يكونون آلهة من إله كأخيهم يسوع؟!

– الله إله يعني له القدرة، لكن الآب يعجز عن التعبير عن حبه إلا بالتضحية ببريء ومن خلال ظلم العالم بتوريثهم الخطيئة! والابن يعجز عن تخليص نفسه ويستغيث بأبيه لينقذه، فلا ينقذه!

– قال اللاهوتيون إن آلهة الوثنية بحاجة دائمة للترضية، لكن إله المسيحية هو الغضوب؛ فلم يبذل ابنه إلا لإطفاء غضبه! ولم يطفئه!

– قالوا: ليس الله مجرد محب بل هو الحب ذاته، فالحب هو ذات طبيعته ومنه تشع هذه الطبيعة لتكون الجمال الذي يعيش فيه أولاده، ولكنه يحب ويبغض! وما أحب العالم إلا في عصر المسيح وقبل ذلك كان يكره العالم، وسبب محبته كان بغضه وغضبه! فليس هو محبة كله، لو كان محبة لما نسي محبته بعد غضبه بل ولا كان ظهر منه غضب وبغض قط!

– قالوا: محبة الله مجانية بلا استحقاق، ولكنه خص محبته بمن آمن دون غيرهم! فهي ليست مجانية بل باستحقاق، فمن آمن استحق الحب والخلاص، ومن كفر استحق الغضب والهلاك!

– المسيحيون أحبوا الله لأنه أحبهم أي بمقابلة حبه، أي ليست محبة فطرية!

وخلاصة الأمر إن دعوتهم إلى محبة الأعداء يناقضها تصريح كتابهم ببغض الله لمن لم يؤمن بعقائدهم، من ذلك قوله في كتابهم المقدس: "**الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده. الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله**"[1].

وقد قطع النصارى صلة الرحم الإنسانية التي تجمع بين بني البشر بأن جعلوا أنفسهم هم فقط: أبناء لله، أما غيرهم فهم أبناء إبليس، جاء في كتابهم المقدس: "**كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية، لأن زَرْعَه يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله. بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس كل من لا يفعل البر فليس من الله وكذا من لا يحب أخاه**" [2].

وعليه فإن التعايش العاطفي لن يتحقق الا باتباعهم في عقيدتهم، فتكون دعوة التعايش العاطفي هي دعوة للتبشير والتنصير لا غير.

وتجدر الإشارة هنا إلى آية كريمة يفهمها البعض فهما خاطئا وهي في قوله تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢﴾[3]، فيظن البعض أن المقصود هم جميع النصارى، ولكن هذا الفهم فهم خاطئ؛ لأنه اقتطع جزءا من النص ولم يكمله،

---

[1] إنجيل يوحنا 3: 35-36.

[2] رسالة يوحنا الأولى3: 9-10.

[3] المائدة:82

فلم يعرف صفات هؤلاء النصارى التي جعلتهم أقرب الناس مودة للذين آمنوا، وتتمت الآية الكريمة وما تلاها من ذكر لصفاتهم هي قوله تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾[1].

وقد روي في أسباب النزول أنها نزلت في النجاشي رحمه الله وأصحابه[2]، وقد آمنوا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فالمقصود بالآية النصارى الذين اعترفوا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واتبعوه لا مطلق النصارى.

الوجه الثاني: أن علاقتنا بالنصارى هي علاقة الرحمة لا المحبة؛ والرحمة أعم من المحبة، إذ أننا نرحم من نحب ومن لا نحب، وإن العبد مكلف في الإسلام تكاليف عديدة، منها ما يتعلق بأفعال الجوارح الظاهرة كالصلاة والحج ونحوها، ومنها ما يتعلق

---

[1] المائدة:82-86

[2] انظر: البيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م، ج1، ص280.

بأفعال القلوب وأولها وأساسها: الإيمان والتصديق القلبي بما جاء به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها كذلك الحب والبغض في الله تعالى.

وقد حرم الله علينا أن نوالي اليهود والنصارى فقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾[1].

والولاية في تفسير العلماء لها عدة معانٍ منها: التدين بدينهم، ومنها النصر والمعونة لهم على المسلمين، ومنها الولاية في المكسب والدنيا؛ لأنهم إن فعلوا ذلك لا بد أن يميلوا إليهم ويصدروا عن رأيهم في شيء فذلك مما يفسقهم ويجرح شهادتهم، والنهي بمثل هذه الوجوه الثلاثة[2].

وفي تفسير هذه الآية الكريمة "قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد كأنه مثلهم، وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين، ونظيره قوله: "ومن لم يطعمه فإنه مني"[3].

---

[1] المائدة: 51

[2] انظر: الماتريدي، محمد بن محمد، تأويلات أهل السنة، تحقيق د.مجدي بأسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م، ج3، ص537-538.

[3] الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط3، 1985م، المجلد6، ج11، ص18.

فالنصارى كافرون بنص القرآن الكريم كما مر معنا، وقد قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨﴾[1].

فالموالاة هنا كما قال العلماء: قد تعني الرضا بكفرهم، وهذا كفر؛ لأن الرضا بالكفر كفر، وقد تعني المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر، وهذا ليس ممنوعاً منه، وقد تعني الركون إليهم والمعونة والنصرة بسبب القرابة أو المحبة مع اعتقاد بطلان دينهم، فهذا لا يوجب الكفر، إلا أنه منهي عنه؛ لأنه قد يجر إلى استحسان طريقتهم والرضا بدينهم وهذا يخرجه من الإسلام[2].

وقد قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾[3].

يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿لا تجد قوما﴾ من باب التخييل، خيل أن من الممتنع المحال أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين، والغرض به أنه لا ينبغي أن يكون ذلك، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال، مبالغة في النهي عنه

[1] آل عمران: 28

[2] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد4، ج8، ص11-12.

[3] المجادلة:22

والزجر عن ملابسته، والتوصية بالتصلب في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم"[1]. إذن فالتعايش الاجتماعي هو الجائز فقط أما ما دونه فإما كفر أو مؤد إلى الكفر.

الوجه الثالث: إن دعوة المحبة التي ينادي بها النصارى ما هي إلا دعوة للتبشير والتنصير، ولكن من وراء حجاب المحبة، ذلك أننا إن أقررنا المحبة بيننا وبينهم وتعايشنا بحب فإننا نكون قد خالفنا نصوصاً قطعية الثبوت والدلالة بحرمة موالاة الكافرين، وبذلك ننسلخ من ديننا ونقترب من النصرانية، وهو مرادهم وهدفهم من قولهم (الله محبة).

هذا وإن الله تعالى أرشدنا إلى ما يرضي النصارى؛ وهو اتباعهم، قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾[2].

ولذا فإن على المسلمين أن يفقهوا دينهم بحق، وأن لا ينساقوا وراء شعارات تُرفَع هنا وهناك، تَظهر براقة وتخفي ما ينزع عنا ديننا.

خاتمة:

إن المتأمل في نصوص الإسلام من الكتاب العزيز والسنة النبوية المشرفة ليشهد أنها تخلو من أي تناقض نقلي أو عقلي بخلاف أي دين آخر، ذلك لأن الإسلام موحى به من عند الله ــسبحانهــ وحده، فنصه معصوم من التناقض بسبب وحدة المصدر وصدقه وثبوته وحفظه قطعا، وهو موافق للعقل لا يناقضه ولا يصادمه؛ لأنه من عند خالق العقول وخالق العالم كله، فالعقيدة الإسلامية وكذا المحبة الإسلامية خالية من

---

[1] الزمخشري، محمود، الكشاف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م، ج4، ص484.
[2] البقرة:120

التناقض والتضارب بين النصوص، وخالية من التناقض والتصادم العقلي، وهي موافقة كذلك للفطرة وللسنن الكونية التي خلقها الله تعالى، لذا نجد في الإسلام عقيدة واضحة بينة توافق العقل وتنسجم مع الفطرة، ونجد في الإسلام حباً وكرهاً، اجتماعاً وافتراقاً، كونا وفساداً، تلاقيا وتنافرا، وهي سنن الله تعالى في خلقه، والمؤّجه في كل ذلك هو إرادة وجه الله تعالى، فلا يكون حب ولا بغض ولا اجتماع ولا افتراق ولا أي فعل باطني أو ظاهري إلا لله وفي الله وبالله وعن الله وحده لا شريك له.

وإن دين الإسلام دين الرحمة لا يمنعنا من حوار الآخر بل يدعونا إلى الجدال بالتي هي أحسن، وإننا نشجع على الحوار مع الآخر، لكن بشروط الحوار والجدال التي تسعى إلى الوصول إلى الحقيقة، دون تعصب أو إفراط أو تفريط.

إن الإسلام يحدد لنا كيف نتعامل مع الآخر وما هي ضوابط التعايش معه، وقد تبين لنا في البحث ان التعايش بيننا وبين النصارى هو تعايش اجتماعي وإنساني، فكلنا لآدم وآدم من تراب، وكلنا خلقنا من نفس واحدة، فتجمعنا صلة الرحم الإنسانية، أما التعايش العقدي والعاطفي فليس موجودا في ديننا، إذ أننا نعتمد وحيا معصوما يوجه سلوكنا وعلاقاتنا ويوضح لنا عقائدنا، فنؤمن بما جاء به رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، ونؤمن بما أنزل إليه وما أنزل من قبله ــ من حيث أصل تلك الكتب السماوية لا الكتب المحرفة الموجودة الآن والتي لم يحفظ من التحريف منها سوى القرآن الكريم ــ

نعم نحن مع التعايش مع الآخر، ولكن وفق الضوابط الشرعية التي حددها لنا خالق البرية سبحانه وتعالى، دون أن نتساهل في شيء من عقائدنا، فإن كان النصارى يعتمدون كتابهم ومجامعهم لمعتقداتهم ويحددون علاقاتهم مع الآخر وفق ما

عندهم من نصوص، فكذلك نحن نلتزم بكتابنا وسنة رسولنا صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يؤثر على قدرتنا على التعايش مع الغير إنسانيا لا دينيا.

وختاما فإني أوجه توصية إلى العلماء المسلمين أن يقوموا بدور توعية الأمة الإسلامية بضوابط الحوار مع الآخر، وأن يميزوا لهم بين أشكال التعايش المشروعة وغير المشروعة، وان يحذروهم من مزلة الأقدام في الحوارات العامة، فإن لكل مقام مقال ولكل علم رجال.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأهل خصوصيته ومن أحبه وتبعه إلى يوم الدين، والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.

